تعالوا فقد حانت أمورٌ عظيمةٌ ولا كان منا غافلٌ يصم العصرا
تعالوا نقلْ للعيس أهلاً فاننا شبابٌ ألفنا الصعب والمطلب الوعرا
شبابٌ اذا نامت عيونٌ فاننا بكرنا بكور الطير نستقبل الفجرا
شبابٌ نزلنا حومة المجد كلنا ومن يغتدى للنصر ينتزع النصرا

ابراهيم ناجى

المجنونه

أو

قيس وليلى

(مهداة الى روح المرحوم أحمد شوقى بك)

قِفْ أيا شوقى وكوِّ الأضلعا قِفْ بنا كى ننشد الشعرَ معا
ونلفّ الحبَّ فى أكبادنا قطعاً حرقى ترشّ القطعا
فخيالٌ فى الهوى ما دغدغتْ جانحيه الريحُ الا أبدعا
ونبوغُ الحبِّ أوتارٌ إذا حركت قلباً دقيقاً رُوِّعا
واذا الأفراخ فى أوكارها غلغلت تشكو فؤاداً موجعا
تنقر الحبّات فى أقفاصها تغرس الأعشاب فيها مضجعا
فخيوط الحبِّ فى ليلاتها علمتها أن تنير المطلعا

* * *

نحنُ أطيارٌ بروض الكون فى زقزقاتٍ نستفيض المدمعا
إنْ على الأغصان قنا نشتكى ضجت الدنيا تعيرُ المسمعا
واذا ما لفظت أرواحُنا وسراج الموت ألقى برقعا
ننسج الالهام مِن آلامنا ونغنّى الدهرَ شعراً مبدعا !

* * *

نحن فى شرع الهوى قلبٌ وفى مرتع الأحلام نبنى مرتعا
شعراءُ قلبنا فى شعرنا يملأُ الدنيا شعورا أرفعا
وشبابٌ يحبك الآمال فى ليلة النجوى خيالا اوسعا
واذا ما قيس مجنون الهوى ضلّ فى الدنيا ، وضلّ المرجعا
واذا ليلى تلاشى عقلها وجنونُ الحبّ شفّ المدمعا
فلأن الله فى صدريهما حبَكَ الالهام سحراً مرضعا !

* * *

قلْ أيا شوق أما من خمرةٍ تسكر الأرواحَ حتى تجرعا
فتطوف الروح فى أجوائها ويجن القلب حتى يصلعا ؟
ان حبّ النفس الهام ، ومَن علم النفس الهوى ما ضيّعا !
لم يكن قيس سوى حبّ إذا جنّ من حبّ يذيب الأضلعا
شاعرٌ فى قلبه ، فى روحهِ شاعر أحلامه أن يلمعا
عبقرى الحب مكلوم هوى يجعل الصحراء جمراً مولعا
فى خيام الوجد يبنى مجده فى ربوع البدو يبنى مربعا
بدوىٌّ يغرق الحب دماً من فؤادٍ كان قدماً ممتعا
ليس فى الحب جنون ، إنما شعلات الحب تلقى برقعا
فتثور النار فى بركانها وتكوّى العقل حتى يسطعا

فيقول الناسُ : هذا عاشقٌ ضيَّع العقل ، فعاف المجمعا
غير أن الناس لا يدرون كم وضع « المجنون » سحراً مبدعا
والتوى بين الورى ينشره كأنَّ « القيس » كان المرضعا !

* * *

هذه ليلى تناغى حبَّها تحبك النجوى وتقضى مطمعا
ينخر العظمَ هيامٌ قاتلٌ يجلب الموتَ إذا الناسُ وعى
وإذا ما عُرفوا فى حبِّها كبِّلتْ أو منعتْ أن تطلعا
فى نظامٍ صامتٍ مستوحشٍ أرضُ نجدٍ طلبت أن يتبعا
كالنعاج البيض والشوكُ على صوفها المدمى تروى البلقعا !
وقلوب العشق هل تعرف من حرمةِ القانون إلا إصبعا ؟
تنبذُ الشكوى على أقدامها فى عصور الظلم حتى تُبدعا
وكذا ليلى فلم تعبأ لما سنّه القانونُ ظلماً مصرعا
إنما مالت إلى أهوائها لتعير القلب سمعاً أطوعا
لتـــلاقى النور مسفوحاً على وجنتيها فى الهوى قد طُبعا
يتعرى الفجر فى برعمهِ ويشفُّ البـــدر وجهاً شعشعا
لو درتْ أنَّ الهوى فى قلبهـــا ملهمٌ قامت تفيض الأدمعا
لتبلَّ الكونَ من أجفانها فيغذّى الحبُّ قلباً مترعا

* * *

هكذا الشاعرُ فى آلامهِ يحرق الأنفاسَ حتى يبـدعا
كى يغذّى الليل من أنواره ويحيل القفرَ روضاً ممرعا
يسلب الأنوار من قلب الدجى ويحيل الكونَ شعراً طبعا
والورى يسخر من آلامهِ والورى عنه يصدُّ المسمعا

إنما الدنيا خلود بعد ما تسكتُ الاقدارُ قلباً ضُعضعا
وفؤادُ الشِّعر خفّاقٌ على بسمةِ الفجرِ يطوف الأربعا !

زحلة : ميشال كرم

النافـــذة المغلقة

(تمثل هذه الأغنية لوناً من الغناء الشعبي الايطالى ، وملحوظ فيها بساطة التعبير ، كما لوحظ فى ترجمتها الحرص على الذوق الايطالى الأصيل فى البيان الشعرى. وهى تصف حالة شاب عاشق من أهل الموسيقى اعتاد أن يقف كلّ ليلة تحت نافذة حبيبته ـ كما هو شائع فى ايطاليا ـ ليطربها على آلة المندولين . وفى ذات ليلة اتجه مع رفقة من أصدقائه الشباب الى بيت حبيبته كعادته فوجد النافذة مغلقة بعد أن كان متعوّداً فتحَها لتستمع الى أغنيـاته ، فأشجاه ذلك ، وتدفقت هـذه الخواطر الغنائية منه)

١ ـــ الترجمة الحرفية

إذا ظلّتْ النافذةُ مغلقة
فأطلب يا أصدقائى معذرةً
فهى ليست غلطتى .
أغنيتى المملوءة غراماً
كانت تشغلها دائماً .
الآن أغنيتى تذهب فى الشارع
فى الليلة الخفية
من غيرك أيتها الجميلة
بدون اشراق نجمك .
أغنياتى تموت

إذا لم تطلى بعد
لتسمعى صوتى .

« . »

يا نافذتها المغلقة
لما ذا لا تُفتَحين ثانية
لقد أخفيتِ هيامى
هيام القلب المشتعل
أنا ثملٌ ، مجنونٌ ، من الحب
من هذا القلق الذى أجد فيه لذة .

« . »

قولى لها إنى أحبُّها
ولا أزال أحبُّها .
إذا كانت تخدعنى
فان يدى لا ترتعش
وسأعرف كيف أنتقم .

« . »

أصدقائى ! أعزّائى ! مساءكم سعيد
فالأوتار كسرت
ومحالٌ أن أعزف عليها ثانية .

« . »

إذا وَلّى الجمالُ طائراً
فاتركونى هنا وحدى
اتركونى أغنّى

الغناء الأخير
بأعلى الصوت
قوياً ،
الأغنية التى تصبح كالموت
لهذه المرأة الرديئة
التى قطعت قلبي
بوحشيتها .

* * *

أيتها النافذة المغلقة
التى لا تُفتح مرة أخرى
فى ليلتك الفضية
اذا لم تكن موجودة
فأنا أريد أن أغنى من أجلك
ما دام شبابى باقياً

نورَ قلبي ! ... نارَ حُبي!

محمد أمين حسونة

* * *

٢ — الترجمة النظمية

أمنحونى أيّها الخلاّنُ عذراً ليس لى ذنبٌ بغلقِ النافذهْ
ليس لى ذنبٌ ، فكم قد مَلأتْها بغرامى أغنياتى الآخذهْ
إنها الآنَ الى الشارع تَمضى وهى مِن غيرك تَفنى ما جيلهْ

هى تفنى دونَ إشراقِكَ إن لم ... تَسمعينى ليلةَ الحُبِّ الظليلهْ
لِمَ لَمْ تنفتحى مِنْ بعدِ غلقٍ ... أيُّها النافذةُ المخفىُّ فيها
وجدُ قلبى المُشعَلِ المجنونِ سُكراً ... مِنْ غرامى فى همومٍ يشتهيها ؟
بلِّغيها أننى عبدُ هوَاها ... أننى ما زلتُ نشوانَ محبِّبا
إنْ تشأ خَدْعى فلى بَعْدُ يدٌ ... لانتقامى لم تَهَبْ حُسناً وحُبّا
أصدقائى وأعزّائى ! وداعاً ... بعد ما قد ماتت الأوتارُ كسرا
فمحالٌ مرةً أخرى لمثلى ... عَزْفُها مذ طارَ ذاكَ الحسنُ طيرا
أتركونى ها هنا فى عُزلتى ! ... ودَعُونى أنشدُ اللحنَ الأخيرْ
رافعاً صوتى قوياً داوياً ... وهو كالموتِ لمعبودى الحقيرْ
قَطَّعتْ قلبى بوحشيَّتها ... فاسمحى نافذةَ الحبِّ اسمحى لى
لغنائى لكِ أنتِ المنتهى ... إن يدمْ روحُ شبابٍ لى منيلى
نُورَ قلبى ! ... نارَ حُبى !

أحمد زكى أبو شادى

الهوى والسلام

للشاعرة إيلا هويلر ولكوكس

مَلاكان يَنشرُ سِرَّ الالَـ ... ـهِ بروحيهما طيبَ ما يحملُ
هما رحمةٌ هبطتْ فى القلو ... بِ ونورٌ من اللهِ يسترسلُ
ومِنْ عجبٍ أنَّ ثانيهما ... يبادله النقمـــةَ الأولَ
فما التقيَا مَرةً عند قلبٍ ... وآواهما بابهُ المقفلُ
إذا وقعتْ مُقلتَا واحدٍ ... على ندِّه شدَّ ما يجفلُ

وقد تنطوى فى الأسى لذّةٌ ويحنو على البومةِ البلبلُ
وتأوى إلى اليأسِ بعضُ الأمانى ويبسمُ للشعلةِ الجدولُ
ويفنى النفيضان من كل أرضٍ ويَحْطِمُ حامِلَهُ المِعْوَلُ
فما إن يظلّ ملاكُ السلامِ يوارى ملاكَ الهوى معزلُ
يظلاّن ما ظلّ عمرُ الوجودِ عَدُوَّين بينهما فيصلُ
فأمّا انقضى العمرُ جال الردَى فضمّهما فى الثرى موئلُ

صالح جودت

سطور حزينة

للشاعر الانجليزى شلى

إنّ الريح العاتية تدوى وتئنّ
إنها تنعى « موت الموسيقى » بين الحقول
والدودة الباردة تنهب فى القبر
وردةَ الشفاه التى رفّت عليها القبلاتُ منذ حين

* * *

يظلّ الجنينُ آمناً ما دام فى الرحم
وكذلك يجد الهيكل المنحلّ راحته فى القبر
وهكذا مرجعنا إلى حيث مآلنا

عثمان فتوح البسيونى

THROUGH THE CROWD

The sacred oath we vowed
Best of lovers to be.
Across the battling crowd,
You waved your hand to me !

And I shot thro' the mass
As my heart ached for you
And my lips for the glass
Of lips as fresh as dew !

And I won you at last
By me, not in my arms.
You and time go so fast
And fly - with all your charms !

Ibrahim Nagy

فى أدب الشاهنامة

كلمة السيد عبد الحميد العبادى

فى الاحتفال بذكرى الفردوسى بمدينة طهران

لا أتعرض فى هذه الكلمة الموجزة للشاهنامة من حيث هى ملحمة رائعة بليغة فقد يكون ذلك من شأن غيرى . ولست متعرضاً لها من حيث هى كتاب تاريخ مقيد لحوادث ايران القديمة . فليس من شك فى أن التاريخ بمعناه العلمى قديماً وحديثاً لم يكن الغرض الجوهرى الذى قصد اليه الفردوسى عند ما شرع فى نظم الشاهنامة . انما أريد فى هذه الكلمة الوجيزة أن أتناول الكلام على الشاهنامة من حيث هى كتاب أدب رائع وحكمة بالغة فهى على هذا الاعتبار كتاب عالمى يتأدب بمطالعته الناس على اختلاف أحوالهم وأجناسهم وأوطانهم وأعصارهم .

* * *

ما برح فلاسفة التربية والأخلاق يرون فى الشعر عامة والقصص منه خاصة وسيلة من أقوى الوسائل فى تهذيب النفوس وتكميل الأخلاق ، وذلك من طريق العرض الشعرى البليغ لموضوع رائع جليل يتضامن فى عرضه خيال الشاعر وعقله وقلبه . لذلك عول الفلاسفة على الشعر عامة والملاحم خاصة فى تحقيق المثل الأخلاقية العليا أكثر مما عولوا على غيره من الفنون الجميلة . ونحن نعلم أن ارسطاطاليس استعان فى تنشئة تلميذه الاسكندر بأن أقرأه إلياذة هوميروس ، كما نعلم أن المؤدبين من العرب كانوا يروون الناشئة الشعر الحماسى الذى هو أقرب أنواع الشعر العربى الى الملاحم واستعانوا به على تلقينهم أصول المروءة التى تدنى عندهم صاحبها من كمال الأخلاق.

والشاهنامة تعدّ بحق من ملاحم الطبقة الأولى ، وهى والالياذة من حيث القوة والروعة الفنية والابداع سواء ، غير أن الشاهنامة عندى تربى كثيراً على الالياذة من الناحية الفلسفية الأخلاقية ، فالفردوسى لا يميل أن يبدىء القول ويعيده واعظاً ومرشداً وهادياً ، سالكاً حيناً طريق الحقيقة وحيناً طريق المجاز . فليت شعرى ما الأصول التى يمكن أن ترد اليها فلسفة الفردوسى الأخلاقية ؟ هى أربعة : الايمان الواجب ، سلامة القلب ، الزهد .

* * *

والايمان عند الفردوسى ليس ذلك الشعور الذى يخالط ضعفاء النفوس وخورة الطباع ، ولكنه ايمان الجبابرة بعد الملوك والأبطال . والفردوسى يتعمد أن يظهر ملوكه وأبطاله عند استعمالهم فى الظاهر كل أسباب القوة والجبروت فى مظهر النقص والافتقار الى عون الله ومدده مبالغة منه فى توكيد ضرورة الايمان فى الحياة ورغبة منه فى كبح جماح النفوس الطاغية وكسر شرة القلب العاتية . ولا مثل لذلك فى الشاهنامة فعند ما خرج الملك (كيخسرو) الى قتال (افراسياب) انتقاماً من مقتل أبيه (سياوخس) جعل يدعو الله أن ينصره عليه . يقول الفردوسى . «وبعد ذلك اغتسل الملك كيخسرو ودخل متعبداً لهم ، وجعل لهم طول ليلته يتضرع الى الله تعالى ويبتهل ويعفر خده فى التراب ويستنصره على أفراسياب ، ويستعين به عليه فقطع ليلته تلك بالسجود لله تعالى والدعاء » . فلما انتصر كيخسرو على خصمه وفرّ خصمه من وجهه وأعيد الى كيخسرو طلابه رجع الى الله يستعينه ويستهديه تقول الشاهنامة :

(فاغتسل ذات ليلة وأخذ كتاب الزند وخلا بنفسه فى مكان خال ولم يزل طول ليلته ساجداً لله تعالى يبكى ويتضرع اليه سبحانه ويقول : « ان هذا العبد الضعيف الموجع القلب والروح طاف الدنيا فسلك رمالها وقفارها وقطع جبالها وبحارها طالباً لأقراسياب الذى أنت تعلم انه سالك غير طريق السداد وسافك بغير الحق دماء العباد ، وأنت تعلم أنى لا أقدر عليه الا بحولك وقوتك فمكنى منه . إن كنت عنه راضياً ، وأنت تعلم ولا أعلم ، فاصرفنى عنه ، وأطفىء من قلبى ثائرة عدوانه وقف بى على سواء الطريق والنهج القويم » .. (وعندما غمر الثلج اسفنديار كان هو وأصحابه فى طريق (هفتخوان) ووجد نفسه وهو ذلك البطل المغوار أمام قوة لا قبل له بها فلم يسعه الا أن ينيب الى الله سبحانه . فيقول الفردوسى : (فبينما هم كذلك إذ أظلم الجو واشتدت الريح ونشأت سحابة ، أبرقت وأرعدت وأطبقت عليهم ثلاثة أيام بلياليها ، تهيل عليهم الثلج هيلا ، حتى امتلأت الأودية فصاح اسفنديار بوجه بشوش وقال : «قد اشتد علينا الامر وليس ينفعنا الآن رجولية ولا قوة ، والرأى أن نلجأ الى من لا ملجأ منه الا اليه ، فانه الكاشف للضر والقادر عليه، فاجتمعوا ورفعوا أيديهم وتضرعوا الى الله تعالى مبتهلين ودعوه دعوة الصادقين فسكن الهواء وانجلت السماء)

* * *

والأصل الثانى من أصول الفلسفة الأدبية للشاهنامة هو القيام بالواجب ، والشاهنامة تعتنى بذلك الأصل الذى هو قوام الحياة العملية أتم عناية ، فاعظم ملوك الشاهنامة أقومهم بواجبه . وواجبه نحو رعيته العدل والحلم والسخاء وترك الاستبداد ، فاذا ما حاد الملك عن هذه السنن جفت الألبان فى الضروع ولم يأرج المسك فى النوافج ، وشاع الزنا والربا فى الخلق ، وصارت القلوب قاسية كالحجر الصلد ، وعاثت الذئاب وخربت الانس وتخوف ذوو العقول من ذوى الغواية والجهل ، ووصية كسرى أنوشيروان لابنه هرمز حافلة بتلك الآداب الملكية التى ترى فى صراحة ووضوح ما يجب على الملك نحو نفسه ورعيته .

وبطولة أبطال الشاهنامة تستند الى شعور قوى بالواجب : أنظر كيف لبى رستم طلب (جيو) انقاذ ابنه (بيزن) وكان مقيداً مغلولا فى مطمورة مظلمة بتوران وقوله له : « لا تهتم فانى لا أحط السرج حتى آخذ بيد بيزن وأضعها فى

يدك» . وانظر الى قول جيو للملك انّ : « امى ما ولدتنى إلا لطاعتك وتحمل المكاره فيما هو سبب راحتك . وهأنذا أشدّ وسطى فى امتثال أمرك ولا أسلك إلا سبيل خدمتك ولو أمطر الهواء على ناراً وتحولت الاسفار فى عينى شفاراً» وقول (كستهم) لبيزن وهو يجود بروحه جريحاً بيد الفارسين الثوار نيين للذين قتلهما : «أيها الحبيب الناصح ألا تحمل على نفسك كل هذا ، فانه أشد على مما أنا فيه ، واستر جراح رأسى بالترك ، واجتهد فى حملى الى حضرة الملك فان قصارى بغيتى وغاية امنيتى أن أتزود منه بنظرة وأقر عينى بطلعته ولو لحظة . واذا مت بعد ذلك مت وليس فى قلبى حسرة . فانى لم أولدْ الا للموت ، ومن أدرك أمله فكأنه لم يمت ، وأيضاً تجتهد فلعلك تستطيع أن تحمل هذين العدوين اللذين أهلكهما الله على يدى الى المعسكر . وان لم تقدر فاحمل رءوسهما وعدتهما حتى تعرضها على الملك ليعلم انى ما هلكت فى غير شىء» .

ثم ان روعة شخصية المرأة فى الشاهنامة تقوم على استكمالها حظها فى الأُنوثة والوفاء لزوجها كما يؤخذ من نواح (تهميته) على ابنها (سهراب) ووفاء (منيزة) لزوجها (بيزن) فى محنته .

وكما ترى الشاهنامة وجوب القيام بالواجب من حيث هو فضيلة أساسية للحياة الفاضلة فانها تدل بالأمثلة المحسوسة والوقائع المادية كيف يؤدى الواجب : فالواجب ينبغى أن نؤديه محلى باحسن آداب السلوك من جد ورفق وحلاوة خلق وضبط نفس ورقة شمائل . والحق ان بطل الشاهنامة من يعرف عند العرب من الرجال (بالكامل) وعند الغربيين (بالجنتلمان) . نعرف ذلك من الحوار الذى دار بين بطلى الشاهنامة رستم واسفنديار عند مالج بينهما اللجاج ، فهو ينم عن نبل الخلق وسراوة النفس . يقول رستم مخاطباً خصمه اسفنديار : «انى طالما كنت أتمنى على الله أن أرى الشهريار قادماً علىّ حتى أجالسه وأفاوضه واستشهد الله ولا يستشده كاذباً إلا من يكون لحبل الغواية جاذباً الى . لو رأيت سياوخى لم أسر برويته سرورى برؤيتك .. فنزل اسفنديار واعتنقه ودعا له وأثنى عليه . «وقال أحمد الله حين أقرّ عينى بطلعتك وكحل ناظرى برؤيتك» فاستضافه رستم وسأله اجابة دعوته واكرامه بمنادمته ومعاشرته ، فلما لم يجب اسفنديار تلك الدعوة بعد الوعد باجابتها حمى الخصام بينهما ولكن فى أدب وضبط نفس بالغين . فيقول رستم معاتباً اسفنديار : «انك تعظمت ورفعت قدرك عن المصير الى ، وكأنك تستصغرنى فى شجاعتى وتستخفّ بى فى رأيى

وأدبي . . . وأراك بتملقي اليك وتواضعي لك قد ظننت الظنون وتوهمت أن فعلي ذلك عن ضراعة وعجز واستكانة ، وأنا أكره قتالك لما أرى فيك من الابهة والجلالة » . ثم انظر بأى قلب وأية شمائل يخاطب رستم الغزالة التى كان تتبعه لها سبباً فى وقوعه على عين ماء روى منها بعد أن كاد يهلك عطشاً . فهو يدعو لها ويقول : « لازلت ياغزالة الريف تفيئين الى الظل الوريف ، وتكرعين فى الزلال المعين وتتقلبين بين الورد والياسمين وأيما قوس راعك أنباضه فلا زالت منقطعة أوتاره ، فانك سددت رمقى وشفيت غلتى » .

* * *

والأصل الثالث من أصول فلسفة الشاهنامة الأدبية طهارة القلب وشرف العاطفة : فالفردوسى يحثنا فى غير موضع من كتابه على أن ننفى عن قلوبنا أدواء الحقد والحسد والضغينة وأن نشربها شريف العواطف وكريم المنازع . يقول رستم لاسفنديار « . . . وطهر قلبك بفضيلة الرجولية من دنس الداء الدفين » . والفردوسى لا يكتفى بأن يندب قارئه الى تطهير قلبه ، بل لقد يتولى هو بنفسه ذلك فى غير موضع من الشاهنامة ، وهو يستخدم فى تحقيق هذه الغاية طريقة العرض التراجيدى التى نلحظها فى أكبر الملاحم والقصص قديماً وحديثاً ، نلحظها فى الآثار الأدبية لهوميروس وسفوكليس وإسخيلوس وشكسبير وملتن ودستويفسكى وذلك أن يعمد الشاعر الى حادث رائع منقطع فيعرضه عرضاً فنياً قوياً راجياً من وراء ذلك أن يهز قلب القارىء ويمخضه فيكون ذلك بمنزلة الدواء المرّ يتجرعه المريض على مضض فتكون فيه سلامته من علته ، وقد بلغ الفردوسى بسلوكه هذه الطريقة أسمى غايات الفن ، وأتى من رائع القصص ما يشغف القلب حسنه ويسحر اللب بيانه . انظر كيف يعرض قصة قتل رستم ابنه سهراب وهو يجهل أنه ابنه . تقول الشاهنامة : (. . . ثم تناوشا الحرب وتطاعنا حتى انتثرت كعوب رماحهما فاستلّ كل واحد منهما سيفه وتضاربا وكأن النار تمطر من سيوفهما . ولم يزالا حتى تكسرت سيوفهما . فمدّا أيديهما الى عموديهما ورفعاهما وجعلا يتضاربان ويتقارعان حتى تمزقت الادراع الموضوعة على أكتافهما وتقطعت التجافيف على خيلهما ، فضعفا ووقفت دوابهما وبقيا من العرق غريقين ومن العطش محترقين ، فوقف الأب فى جانب والابن فى جانب آخر ينظر أحدهما الى الآخر . فيا عجباً ! كيف انسدّت

دونهما أبوابُ التعارف ولم تتحرك بينهما عروق التناسب ؟ والابل مع غلظ أكبادها تعطف على أولادها والطيور فى جوّ السماء والحيتان فى قعر الماء لا تنكر أولادها وأفراخها . والانسان من فرط حرصه يخفى عليه فلذة كبده ويستنكر قرة عينه ولا ينزع الى ولده !) ثم يقول رستم : «لم أرَ قط قتالاً بهذه الصفة . ولقد انقطع رجائى فى رجوليتى» فاذا ما استأنفا القتال قال سهراب لرستم وهو غير عالم بأنه أبوه: «انى أرى أن تخلع الجوشن ونطرح السيف ونكف عن القتال فان قلبي يميل كل الميل اليك وان وجهى ليغمره الحياء منك» . ولكن يخيب رجاء سهراب ويعود الأب وابنه الى القتال فيغلب الأب ويصرع ابنه ثم يسلّ خنجره فيشق به حلقه ثمّ يتبين له بعد أنه انما ذبح ابنه فيشقّ جيبه ويضرب صدره وينتف شعره ويندب ولده ويحاول استنقاذه من براثن الموت فتقد لوعة الحزن فى صدر رستم ويصيح من فرط العذاب : « من الذى أصيب بمثل ما به اصبت ؟ ومن الذى فجع بمثل ما به فجعت ؟ قتلت ولدى حين شاب رأسى وانقضى عمرى» ..) انّ القارىء ليتابع مشاهد هذه القصة الرائعة وقلبه يتوثب فى صدره فرقاً وذعراً . فاذا ما بلغ الى الكارثة الأخيرة فقد لا يملك دمعه أسًى وحزناً .

وهذا الذى قصد اليه الشاعر بهذه القصة الفاجعة الرائعة رغبة منه فى أن ينفى عن قلب القارىء الجفاء والقسوة وأن يغمره بأسمى العواطف ويمكن فيه لأكرم المنازع .

ولا يقف الفردوسى عند هذا الحدّ من تهذيب قارئه فهو يجتهد فى أن يروض نفسه ويكبح من جماحها بأن يجلو لها فى أقوى تصوير وأبرع تعبير تقلب هذه الدنيا وتحول أحوالها وتصرفها بالناس تصرفاً قد يسوء ضعاف النفوس ولكنه لا ينال من النفوس القوية التى تعلم أن ذلك ناموس عام مطرد لا معقب لأحكامه وهو على عادته يختار أقوى شخصياته فيجعلها مناط فلسفته رامياً بذلك الى أن نأخذ الدنيا كما هى فنفرح بها اذا هى أقبلت ولا نأسى عليها اذا هى أدبرت . وان فلسفته من هذه الناحية لترجح فلسفة الرواقيين من الاغريق الذين يريدون أن نتجرد من العاطفة جملة فلا نفرح ولا نحزن ، ولا نغضب ولا نعتب . أنظر كيف يصف الشاعر مصير الملك أفراسياب عند ما قلب الزمان له ظهر المجن وتنكر له وجه القدر فآل أمره الى أن وقع أسيراً فى يد رجل عاند فشدّ وثاقه بزناره واضطره الى أن يخاطبه

بقوله « أيها العابد ! ما تريد من رجل اختفى فى مغارة ضيقة ؟ » فلما عنفه العابد بما احتقب من أوزار قال : « بهذا جرت على أقلام قضاء الله فى الازل . ومن المعصوم فى هذه الدنيا الغدّارة من الزلل ؟ فارحم عاجزاً ظلم نفسه كثيراً ، واعطف على مَنْ كان ملكاً كبيراً ، فصار هكذا بين يديك أخيراً ! وإن كنت لا تمن عليه بالاطلاق فخل عنه قليلا من الوثاق » وان مصير الملك دارا واغتيال عبديه له تقرباً بدمه الى الاسكندر ليجرى مجرى قصة افراسياب من حيث الدلالة على تقلب الدنيا ، وهم ترينا الفردوسى جبرياً يرى أن الانسان لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً بل هو رهين مشيئة الأقدار .

واذا كان ذلك دأب الدنيا فجدير بالعاقل أن يزهد فيها وألا يحرص عليها . والزهد فى هذه الدنيا هو الأصل الرابع من أصول فلسفة الشاهنامة . والفن دوسى لا يألو جهداً فى أن يصرف قلوبنا عن أن تغرم بالدنيا وتفتن بزخرفها ولكن تنى غير اخلال بالواجب الذى يفرضه علينا وجودنا فيها . أنظر الى تصويره نفسية الملك كيخسرو عند ما انقبضت نفسه وأزمع التخلى عن الملك والذهاب فى الأرض فقد عهد الى ابنه مهراب وأوصاه وودع أكابر الدولة وأهل قصره (ثم سار ... وصحبه رؤوس الايرانيين ... وسار الى أن صعد الى جبل فأقاموا عليه أسبوعاً وخرج فى أثره نساء الايرانيين ورجالها زهاء مائة ألف نفس يبكون ويضجون حتى طن بصياحهم وعويلهم السهل والجبل . ثم بعد أسبوع أشار الملك على الأكابر والسادات بالانصراف من ذلك المكان ، وقال « ان أمامنا طريقاً صعباً لا ماء فيه ولا عشب » فانصرف دستان ورستم وجوزرد ولم ينصرف عنه الباقون فسار الملك وساروا معه حتى وصلوا الى ماء فنزلوا هناك وقال لهم الملك « اذا طلعت الشمس غداً حان وقت المفارقة » فباتوا ليلتهم عند العين . ولما كان فى الثلث الأخير من الليل قام الملك ودخل العين واغتسل ثم ودعهم . وقال « ان الثلج غداً يسدّ عليكم الطريق فلا تهتدون الى الرجوع إلى ايران » ولما طلعت الشمس ركب الملك وغاب عن أعينهم) .

ووصف حديث الاسكندر الملك الشاب الفاتح الطموح مع أهل مدينة البراهمة المنقطعين عن الدنيا الراضين فيها بأيسر أمرها . ترى الى أىّ حد يذهب الفردوسى فى تقرير فلسفته القائمة على العزوف عن الدنيا وعدم الاغترار بخلب برقها وجهام سحابها .

* * *

ان الفردوسى ليرسم للحياة الفاضلة فى الشاهنامة منهاجاً واضحاً جلياً معالمه أربعة أمور : الايمان ، والعمل ، وطهارة القلب ، والزهد فى الدنيا

فتيات اسمرن

(عن الفرنسية من وضع لابوبير)

مَدِينَةُ أَسْمَرْنَ ماذا أرى جمالٌ يفوق حدودَ الجمالِ
بها غادةٌ تَسْتَبِيح القلوبَ وتلهو بكل عقولِ الرجال

* * *

أَمِيرُ التى حَسَدَتْهَا البدورُ على الحسنِ بل حسدتها الشموسْ
إذا خطرت فهى سِحرُ الحياة أو الخمر قد لَبِثَتْ بالرؤوسْ

* * *

تُفاخر بالحسْنِ وهى الفخارُ وتضحك مِن مُبكياتِ الهوى
إذا لمحَتْ نحْوَها مُغرَماً تولَّت وأصْلته نَارَ الجوى

* * *

وما عَرَفتْ مِن جميع البرايا صديقاً أحَبَّتْهُ إلاَّ أخاها
وأخرى يُقالُ لها إفْرُزِينُ صديقتها كلَّ يومٍ تَراها

* * *

فتاتان بين المُنى والصفاء أقام على الوُدِّ قلباهما
ولو سَألَ الناسُ أين الأخاء لما عرف الناسُ الاَّ هما

* * *

وهامَ بها كاهِنٌ مَرَّة فألْهَتْه عن جوبتيرَ الالَهْ

أحبَّ فردّته عن حُبِّها كما ارتدَّ سَهْمٌ على مَنْ رماهْ

* * *

وفاتحها مستهامٌ عجوزٌ فأقصته حيرانَ يشكو الضنى
غنيٌّ ولكنّه جاهلٌ اذا القلبُ لا يُشترى بالغنى

* * *

ولكنَّها قبلت أن تراه ويا ليتها لم تكن تقبلُ
أتى وابنه معه زائراً فتى يَسْتَنيرُ به المنزلُ

* * *

وفيرُ الشباب قليلُ الكلام فليس يُبين ولا يُخْ
لقد صدَّه مِن أبيه الحياءُ أو التيهُ وهو به أجد

* * *

أيا إفرزين ألا تذكرين فتى كان فى بيتنا زائرا
وليس يُبالى بحسنى العظيم كأنى أراه به ساخرا ؟

* * *

هنا سكتت أختُها إفرزين وغابتْ زماناً عن المنزلِ
وإيميرُ فى باطل الكبرياء تقيم على عَهْدِها الأولِ

* * *

فأيقظها نبأ عاجلٌ وقولٌ يُشاعُ وأمرٌ يقينْ
يقولون إن الفتى (إستفون) سعيدٌ بزجته إفرزين

* * *

لقد سَعِدا أولاً بالغرام وقد سعدا ثانياً بالزفافِ
مدينة أسْمِرن تهدى الزهورَ أكاليلَ بين المنى والهتافِ

* * *

إيمِيـر جَهلتِ الهوى يا إيْمِـيْرُ فذلُّ الهوى فاقَ عزَّ الجمالِ
يُذِلُّ الأَمير بسلطـــــانه ويُخْضِعُ أُسْدَ الشَّرى للغَـزَالِ

* * *

لقدْ ذَهَبَتْ لالتماسِ العَزَاءِ تروم أخاها حبيباً لها
فأقْنَعَها بانقطاع الرَّجاءِ وفى الحالِ سُرْعانَ ما رَدَّها

* * *

لوعة إيمير

مدينة اسمِرْن كونى جحيماً ويا لجَجَ البحرِ كونى دُمُوعا
ويا عقلُ سِرْ حيثُ سارَ الفؤادُ ولا تَرْجِعا بصوابى جميعا

* * *

أنا الآنَ فى راحةٍ من جُنُونى وعنـد انتباهى يعودُ الشقاءْ
لقدْ ضاقتْ الأرضُ عن شَكوتى فيا رَبِّ هل ضاقَ وَجْهُ السَّماءْ؟

* * *

ولولا جنايةُ كيْدِى علىَّ لـكنت امتلكتُ جَبينَ الزَّمانْ
فقَدْتُ جميعَ المنى مِن يدىَّ وهيهات ! هيهات فات الأوانْ !

الصاوى على شعلان

ايماءات الأبدية من ذكريات الطفولة الأولى

للشاعر الانجليزى ورد زورث

(الطفل أبو الرجل ، وانى لأرجو أن ترتبط أيامى برباط التقوى الطبيعية)

لقد أتى علىَّ وقت كنت أرى فيه المراعى والحراج والمجارى والارض وسائر المرائى متشحة بالأنوار السماوية كأنها مجد وبعثٌ لحلم . وهى الآن غيرها بالأمس .

دُورى كيفما شئت ليلاً أو نهاراً ، فان هذه الاشياء التى شاهدتها سوف لا أراها من جديد .

* * *

قوس قزح يبين ثم يختفى . جميل ذلك الورد . ان القمر ينظر حوله مبتهجاً عند ما تصفو السماء من الغيوم . ما أجمل المياه فى الليالى المرصعة بالنجوم ! إن ضوء الشمس ميلاد عظيم .

ولكنى أدرك مع ذلك حيثما ذهبت أن مجداً قد توارى عن الأرض .

* * *

والآن بينما الطيور تنشد أنشودة الفرح ، وصغار الخراف تثغو وفق أصوات الساقية ، هتف بى هاتف الحزن وحدى . ولكن الكلام أنقذنى من سلطان هذا الفكر وعادت الىّ قوتى . ذلك أن أبواق الشلالات تدوى فى مساقطها . لن يعود الحزن يعكر علىّ جمال الربيع .

أسمع الاصداء تزدحم خلال الجبال ، والرياح تهب علىّ من حقول النوم ، وكل ما فى الأرض فرح طروب .

الأرض والبحر قد استسلما للفرح ، وكل الحيوانات فى قلب الربيع .

يا ابن الفرح فلتهتف حولى !

دعنى أسمع هتافك أيها الراعى السعيد !

* * *

أيتها المخلوقات المباركة لقد سمعت تناديك .

إنى أرى السماء تضحك معك فى يوم عيدك .

قلبى يطرب لعيدك وتعلو رأسى أكاليل الفرح .

إنى أشعر بكامل غبطتك . أشعر بها جميعها .

أيها اليوم المشئوم ! لو كنت واجماً ساهماً حينما الأرض نفسها تزين صباح الربيع المحبوب والأطفال يتدفقون فى كل جانب من تلك الأودية البعيدة المتسعة كأنهم أزهار نضرة والشمس تشرق دافئة ، والطفل يقفز على ذراع أمه . فانى أسمع . أسمع وأسمع بفرح وغبطة .

ولكن هناك شجرة لكثير لواحد . حقل منعزل وحيد قد أشرفت عليه ، كلاهما يتحدّث عن شيءٍ مضى . زهرة البنسيه عند قدمى .

إن القصة عينها تتكرر .

أين توارى الضوء الخيالى ؟

أين هو الآن ، المجد والحلم ؟

* * *

إن ولادتنا ما هى الا نوم ونسيان ، وروحنا التى تنهض معنا ، نجم حياتنا كانت تسكن مكاناً آخر ثم أتت من ذلك المكان البعيد . ليست منسية تماماً ، وليست عارية كلها ، ولكنها جاءت تجرّ وراءها سحب المجد الذى نستمده من الالّه الذى هو ملجأنا

. لقد أحاطت السماء بنا فى مهدنا .

أما ظلال البيت الشبيه بالسجن فتطبق على الطفل النامى .

ولكنه يشاهد النور ويراه عند ما يفيض وسط غبطته وسروره .

والشاب الذى يحتم عليه أن يبتعد كل يوم عن المشرق[1] فيظل كاهن الطبيعة تحفّ به تلك الرؤيا الرائعة ، ولكنه لا يلبث أن يشعر وهو رجل أن هذه الرؤيا قد ذهبت وتلاشت فى ضوء اليوم العادى .

* * *

تملأ الأرض حضنها بمباهجها وهى تفيض بالأشواق والعطف الطبيعى . أما المربية فى المنزل فتعمل كل ما يمكنها حتى أنها تتخذ بعض طباع الأم فى غرض غير تافه لتجعل طفلها المتبنى ورجلها الذى تقيم معه ينسى المجد الذى عرفه والقصر الملكى الذى جاء منه .

* * *

أنظر إلى الطفل وهو غارق فى سعادته الجديدة . ستة أعوام محبوبة من عمر ذلك الصغير .

---

(١) أى ميلاده الذى يشبهه بمطلع الشمس .

أنظر اليه وقد نام بين لعبه التى صنعها بيديه وضاق بتيار قبلات أمه وأشرق عليه نور من عينى أبيه .

أنظر عند قدميه : قد رسم رسماً أو بعضاً من أحلامه البشرية قد شكلها بفنه الحديث عرساً أو وليمة ، مناحة أو جنازاً .

هذا ما يملك لبه ، وفى هذا ينظم أنشودته .

ثم يعوّد لسانه الى محادثات العمل والحب والجهاد .

ولكنه لا يلبث أن يطرح هذه جانباً .

وبفرح وكبرياء جديدة يبدأ الممثل الصغير يدرس دوراً اخر فيملأ من وقت لآخر مسرحه الفكه بجميع الأشخاص حتى المجزة التى تجرفها الحياة فى طريقها ، كأن كل غرضه محاكاة مستمرة .

* * *

يا من ينمّ مظهره الخارجى على عظم روحه ! يا أحسن الفلاسفة ! يا من يحفظ تراثه ! إن عينك تستطيع أن تقرأ ذلك السر الأبدى بين العمى فى صمت وسكون وحولك يطوف العقل الخالد .

أيها النبى الجبار ! النبى المبارك الذى تستقر عنده تلك الحقائق التى نشقى حياتنا فى البحث عنها حتى تذهب بدداً فى الظلمات ، ظلمات القبر الموحش .

أنت يامن يعاودك خلودك ويعلو عليك كاليوم الآخر ! سيد بجانب عبد . وجود لا يمكن أن يبارى . انك تنظر الى القبر كأنه مثوى منعزل مسلوب ضوء النهار وحرارة النور كأنه مكان للفكر حيث ننام منتظرين .

أيها الطفل الصغير العظيم فى حمى وليدة السماء ـ الحرية ـ التى ترفرف عليك لماذا تثير السنين بتلك الآلام المضنية لتجلب ذلك النير المحتم وتحارب سعادتك فى غير تبصر؟ إن روحك ما تكاد تندمج فىّ الا وتتسلط عليك العادة بأعبائها الثقيلة كالجليد ، العميقة كالحياة .

* * *

أيها الفرح المستقر فى رماد أجسادنا ! ان الطبيعة لتذكر ما قد شرد منها وغاب ، وان ذكر الأعوام السالفة تبعث فى نفسى بركة دائمة . إنى لا أرفع أنشودة

الشكر والثناء من أجل تلك التى يجب أن تمجد الغبطة والحرية وعقيدة الطفولة البسيطة قلقة كانت أم هادئة بأمل حديث العهد لا يزال يصطخب فى صدره ، ولكن من أجل هذه الأمور المتشبثة بالحس وظواهر الاشياء وما يتساقط منا وما يتوارى عنا ، وشكوك المخلوق الزائفة تطوّف فى عوالم غير محققة وغرائزسامية تقف أمامها طبيعتنا الفانية مرتجفة كأنها شىء أثيم مذهول .

من أجل تلك المحبة الأولى وأطياف الذكريات التى هى — فلتكن ما تكون — بنبوع نور لكل أيامنا والضوء المتسلط على أنظارنا ، والتى تنظر الينا وتحفظ وتستطيع أن تجعل سنينا الصاخبة تظهر كأنها لحظات فى حياة الصمت الخالد ... إن الحقائق التى تستيقظ لا تفنى أبداً ، هذه الحقائق التى ليست كسلاً ولا نشاطاً جنونياً ، وليست رجلاً ولا طفلاً ولا أىّ شىء عدو للفرح ، تستطيع أن تنسخ أو تدمر حتى لو كنا فى فصل هادىء الطقس متغلغلين فى اليابس .

فأرواحنا التى ترى ذلك البحر الخالد الذى قذف بنا الى هنا تستطيع فى لحظة أن تذهب بنا الى هنالك ، وترى ملاعب الأطفال على الشاطىء وتسمع المياه الجبارة تصطخب أشدّ وأكثر ...

* * *

إذن فلتغنِّى أيتها العصافير ! غنِّى ، غنِّى أنشودة الفرح ! ودعى صفار الخراف تجتمع على أنغام الساقية ، فاننا سنشاركك بأفكارنا . أنت التى تصغرين وأنت التى تلعبين وأنت التى تشعرين اليوم بفرح الربيع يسرى فى قلوبك !

ومع أن ذلك الضوء الذى لمع مرة قد اختفى الآن من أعيننا الى الأبد .

ومع أنه ما من شىء يعيد الينا ساعة الروعة فى الحشائش ، والرواء فى الأزهار ، فاننا لا نيئس ، بل إننا نجد قوة فيما تبقى خلفها فى ذلك الشعور المتبادل والعطف الأول الذى يجب أن يكون كما كان فى تلك الأفكار المسكنة التى تنبعث من الألم ، وفى تلك العقيدة التى تبرز خلال الموت ، وفى السنين التى تكوّن العقل الفيلسوف .

* * *

أيتها الينابيع والمراعى والتلال والحراج لا تنذرى أحبابى بسوء ، وان كنت أشعر به فى قرارة قلبى بسلطانك ! لقد هجرت ذلك البهاء لأعيش تحت سلطانك الدائم

إن جداول الماء التى تحفر مجاريها أحب إلىّ من وطء الأرض بأطراف أصابعى .
إن البهاء البرىء لليوم الجديد محبوب ، ولكن السحب التى تتجمع حول الشمس الغاربة تنتزع اللون الهادىء من العين التى راقبت فناء الانسان .
فنزع كان وأنواع أخرى تكتسب .
شكراً للقلب البشرى الذى به نحيا
شكراً لرقته وأفراحه ومخاوفه
إن أحقر الأزهار التى تنشر أريجها تبعث فى أعمق الأفكار التى تستدر الدموع !

* * *

شرح وتعليق

من الصعب أن ندرك كل ما عناه وردزورث فى هذه القصيدة فهى تبدو دقيقة الفهم بعيدة الادراك ولكنها تدنو منا شيئاً فشيئاً كلما تعمنا فى استيعابها .

تميل هذه القصيدة فى أغراضها غير المباشرة الى الاعتقاد بأن الروح خالدة تعيش للأبد . وقد أدرك الشاعر هذا من ذكريات طفولته الأولى ودقة ملاحظاته لسائر الأطفال الآخرين .

قال بعض الناس إن وردزورث يثير فينا أعمق الذكريات فنشعر عند قراءته أننا نعيش مرة أخرى فى عالم طفولتنا الغامض الجميل.

يفصح وردزورث فى مستهل القصيدة عن ذلك الشعور الذى استولى عليه وهو أن الحياة كما ظهرت له فى الطفولة فقدت فى بعض نواحيها نورها ومجدها ، فبالرغم من أنه لا يزال يرى جمالاً فى الطبيعة وفى الاشياء المحيطة به إلا أن « مجداً قد توارى عن الارض »

ثم يشرع فى دراسة هذه الظاهرة التى تكشف له فيتساءل : لمَ يكون هذا صحيحاً؟ وعندما يتمكن من الاحاطة بهذا السؤال يرى سعادة حياة الطفولة حوله ويحكم بأن «هاتف الحزن قد هتف به وحده» . هو يعتقد أن هذه هى حالته الخاصة وليست حال جميع الناس ولذلك يحاول أن يتخلص من ذلك الشعور أو ينفض عنه هذا الاعتقاد وينغمس فى «روح المخلوقات المباركة التى تحيط به» . ولا يلبث - بعد أن يقف على جانب من الطبيعة فى صورها المختلفة وسعادة حياة الطفولة حيثما ذهب - أن ينجح فى اقناع نفسه أن هذه كانت حالته الخاصة التى أنت له بخاطر الحزن.

ثم تقع عينه على شيء معين : شجرة ، حقل ، زهرة البنسيه . ويدرك أثر كل هذه فى نفسه واختلاف شعوره تبعاً لاختلافها ، فيعتقد أنه لم يكن خاطئاً وأن مجداً حقيقياً قد توارى عن الحياة .

ثم يعجز الشاعر عن أن يفصح عن هذا التغيير فيترك القصيدة عند هذه النقطة ولا يرجع اليها إلا بعد عامين .

ففى المقطوعة الخامسة « إن ميلادنا ماهو إلا نوم ونسيان...» يتدبر الموضوع من جديد ويأتى بحل لهذا السؤال فيعتقد أن الروح ما دامت تعيش بعد الموت فيجب أن تكون قد عاشت قبل هذه الحياة القصيرة على الأرض ، وأن الطفل عند ما يولد تأتى روحه من ذلك العالم الجميل « ولكن تجرّ وراءها سحب المجد الذى نتلقاه من إلهنا : ملجأنا» .

وعلى هذا فهو فى طفولته قريب جداً من مجد العالم أى أن نور العالم ومجده يحيطان به . وعند ما يتقدم به الزمن ويصل الطفل الى دور الشباب ثم الى دور الرجولة تبدأ الدنيا تمسك به وتطبق عليه ويفقد شيئاً فشيئاً المجد الذى عرفه حتى يدرك الرجل أخيراً أن مجده قد تلاشى فى حياة اليوم العادى ثم يصف لنا الشاعر كيف تأخذ الأرض ابنها المتبنى وتدّعيه لنفسها وعلى ذلك فهو ينسى ذلك القصر الملكى الذى جاء منه .

فهذه الأشياء التى تحدث فى مجرى حياة الرجال والنساء تكون شغلهم الشاغل. أما الطفل فيأخذ هذه الأشياء كلعب ثم لا يلبث أن يقع تحت أعبائها الثقيلة كالجليد ، العميقة كالحياة . وهكذا يبتعد شيئاً فشيئاً عن مجد العالم ويقترب أكثر فأكثر من سلطان الحياة وعاداتها .

وعند ما نقترب من آخر الحياة ندرك جمالا أكثر جدة مما عرفنا فى الماضى فنتبين أن سنىّ حياتنا المضطربة ليست إلا لحظات فى حياة الروح العظيمة التى عاشت قبل أن تأتى الى عالمنا الأرضى وستعيش بعد هذه الحياة الأرضية .

وعلى هذا كانت هذه الايماءات للطفولة الأولى آراء وحلقات فى سلسلة الاثبات الذى يقوم على خلود الروح ؟

نظمى خليل

(بكالوريوس فى الأدب الانجليزى)